منذ ٥١ عاماً

الحصان الاخضر
مجموعة الشباب القصصية المشتركة

باسم عبد الحميد حمودي

في العام ١٩٥٦ الذي صدرت فيه مجموعة الحصان الاخضر القصصية صدرت ثلاثة عشر عملاً قصصياً وروائياً في العراق، ونقول (روائيا) تجاوزاً في صورة اعمال قصصية لا يعد (رواية بل) short novel storyومثاله في ذلك الرسائل المنسية لذي النوى ايوب و(نبي العذريين) لشهاب احمد المشاهدي وعمل آخر لغالب الداودي اما مجاميع القصص القصيرة فكانت لأدمون صبري (خيبة امل) وهي مجموعته الرابعة وجعفر الخليلي (هؤلاء الناس وفتاة بغداد (حربية هاشم نوري) وهي الجزء الثاني من مجموعتها (دماء ودموع) وشاكر السعيد (نفوس جديدة) وجاسم محمد الجوي (انتقام مطرقة) وآخرين.

ثلاثة أعمال سردية في ذلك العام يعد كماً جيداً في حد من الحدود فلم تكن هناك دور نشر ترعى ادب القصة ولا اهتمام كبير بها من قبل الوسط الثقافي الذي كان يتعايش مع الذائقة الشعرية عموماً ولا يعتبر - في قسمه الاعم فن القصة المنتج محلياً يشكل اضافة كبيرة للادب العراقي الحديث.

بعض من المثقفين ورواد الادب القصصي والقراء كان يحتفي بهذا اللون من الادب ويتابع نتاجاته باهتمام بل ويرسم الطريق لانجاح مشاريع مدارس فنية وقصصية وشعرية تجدد الطاقة وترسم طرق انتاج جديدة منها مدرسة (الوقت الضائع) التي قدمت لنا قبل ١٩٥٦ مجموعتي نزار سليم (اشياء تافهة) عام ١٩٥٠ و(فيض) عام ١٩٥٢ وديوان (خفقه الطين) لبلند الحيدري ومجموعة الواقعية الجديدة (اسرة الفن المعاصر) التي اصدرت مجاميع قصصية فيما بعد لعبد الصمد خانفاه وصلاح سلمان ومجموعة (الثقافة الجديدة) التي اصدرت اعمالاً بعد الملك نوري وفؤاد التكرلي وعبد الرزاق الشيخ علي وسواهم.

من ركام كل هذه التجارب المتفاوتة الاتجاهات والقدرات الفنية اجتمع اربعة من الشباب يومها واصدروا هذه المجموعة القريبة من المألوف وهم ناجي جابر وعبد الله جواد وعبد الله حسن ومنير امير (فير عبد الامير)، وكان عبد الله جواد ومنير امير قد افتتحا تجربة مجموعة (الحصان الاخضر) بنشرها قصة (البغي الخرساء) المشتركة في جريدة (الاخبار) البغدادية يوم السادس من كانون الثاني ١٩٥٦ ثم اتفق الاربعة على نشر القصص القصيرة التي كتبوها سوية (او علي انفراد) في هذه المجموعة فصدرت المجموعة في نفس العام ضامة خمس عشرة قصة قصيرة قام برسم غلافها والرسوم الاخرى داخلها القاص منير امير وضمت قصص (الحصان الأخضر) و(متشرد في العلوة المهجورة) لناجي جابر ومنير امير و(مطلوب في كل مكان) لكل من منير امير وناجي جابر وعبد الله حسن و(لص صغير ومطر) لعبد الله جواد ومنير امير و(عود ثقاب واحد) لثلاثي ناجي جابر وعبد الله جواد ومنير امير وقصصاً اخرى كتبت بهذه الطريقة من قبل اثنين او ثلاثة منهم ولا بد ان يكون منهم منير امير الذي كان لولب الفكرة ومهندسها ثم نشر كل واحد منهم قصة مفردة باسمه.

ان من يحلل هذه القصص المشتركة وهي (قصص قصيرة يصل بعضها إلى مصاف القصة القصيرة جداً) يجد انها كتبت ضمن سرد بلاغي متشابه رغم اختلاف الاجواء فايقاع قصة (الحصان الاخضر) يتم من جوانب متعددة لا تساوي بين منفذي فصل (التشابيه) وبين مخلف (الاحصنة) وبين الصغيرة التي تراقب المشهد وتصرخ لانها تلقت ايقاع حركة الحصان الاخضر على نحو مغاير.

وفي قصة (مطلوب في كل مكان) التي كتبها ثلاثة منهم تجد القصة تنقح على مقدمة تقليدية وذروة ونهاية موباسانية مفاجئة تحكي ردة فعل ابراهيم المطلوب في كل مكان في تلك اللحظة.

في القصص الاخرى تجد ايقاع المحيط الاجتماعي حاداً داخل العرض القصصي وتجد اللغة اكثر توتراً او تحديداً للشخوص والاضاءات، وإذا اقتربت من القصص المفردة لكل قاص تجد الجو متشابهاً حيث الطفولة والعصي والاسواق الشعبية وشخوصها.

كان يمكن لهذه المجموعة من القصاصين ان تفعل شيئاً كبيراً لو استمرت جادة في عملها الابداعي لكن ثلاثة منهم تسربوا إلى اعمال اخرى في الفن والمسرح وظل منير عبد الامير وحده يعمل في الكتابة القصصية والترجمة حيث اصدر عدة كتب منها روايته (رجلان على السلالم) عام ١٩٦٨ ومجموعة (الزائر الليلي) عام ١٩٧٦ وغيرها، ونحن اذ نقدم نماذج من هذه القصص نستذكر سوية تجربة شابة جرت منذ واحد وخمسين عاماً.

الحصان الاخضر

منير أمير وناجي جابر

عيونه زرق. مخيف.. حصان عيونه زرق يرتدي ملابس خضراء. وينظر بعيونه الزرق. لماذا بدا لعين أختي الصغيرة.. مخيفاً. ولماذا شعرت بأن عيون الحصان زرقاء رغم انها سوداء. إلا إنها تبدو لامعة.. لم اعرف بعد. كان صاحبه يرفع الكيس إلى الاعلى ليغطي وجه الحصان كلما هبط الغطاء قليلاً. كان هناك ثقبان في الكيس فتظهر العينان السوداوان للحصان ببريق يقرب إلى الزرقة.. وثقبان إلى الاعلى تظهران أذنيه القصيرتين المنتصبتين وقد انتابني شعور غريب فيه جدة: ان هذا الحصان غير عادي وقد جيء به من مكان اسطوري خرافي بعيد.. وقد عيطت النسوة عندما رأينه وهن يسمعن خفق أيدي الرجال على الصدور الحمراء الملتهبة. فاكسبن الجو طابعه المفجع المفروض. وتراكض الاطفال وبعض الرجال إلى الزقاق ليفسحوا المجال لمرور موكب السبايا في الطرق العام. وكنت قد وقفت على دكة واسعة في ركن الزقاق تزاحمت فيها النسوة وقد نثرن الطين على شعرهن وعبيهن وجبينهن. الشمس الصفراء حارة حادة. والانفاس المزدحمة لها رائحة خاصة ثقيلة ومر شعار اسود ذو مسندين يحمله ولدان هزيلان عميقا السمرة في ملابس سود. خط عليه: (موكب عزاء الحسين.. ابو الشهداء). وحينئذ مر حصانان وراء ذلك الشعار المترأس الموكب.. كل منهما يختلف عن الآخر.. واحد في برقع منقط بلون أحمر يمثل الدم.. ويقوده رجل معصب الرأي بلفاف مصبوغ باللون الأسود القاتم. يتبعه مباشرة رجال يحملون نعش الحسين. ثم رجال عراة إلى خصورهم يلهبون صدورهم بالضرب القاسي العنيف، ويواصلون - بايقاع واحد - ترديد الأقوال الحماسية المفجعة التي قالها من سبقهم في موكب آخر يتقدمهم. ثم ظهر الاولاد الصغار يفعلون مثل الكبار ويوجههم رجل في (دشداشة) سوداء مطينة.. يحمل عصا يشق بها الطريق لهم، ويتولى شؤونهم وشؤون الناس الواقفين بشكل يسد الطريق. والحصان الثاني اسود ألبسوه برقعاً أخضر تبرز فيه عيناه وأذناه. بدا لي جميلاً في البرقع الأخضر، وعجيباً ايضاً في نفس الوقت. يقوده شخص همه الوحيد ان يحافظ على مظهر الحصان ويبقيه كما هو. وفجأة انتبهت إلى صراخ طفلة مرتعبة خائفة عرفت فيها اختي الصغرى (سعدية) التي كانت اختي (فاطمة) تحملها على صدرها حاضنة إياها بيديها. كان شعر (سعدية) الصغيرة الاصفر هابطاً على عينيها في تلك اللحظة، وفمها مفتوحاً على سعته والصراخ يصدر عالياً.. وأحد كتفيها يبرز من ثوبها الأسود، ابيض دقيقاً ناعماً.

-(ماذا حدث لها؟)

-(خافت من الحصان الاخضر. لأنه قد ارتدى ملابس خضراء.. واظهر عيونه.) هكذا اجابت (فاطمة) فجعلتني إجابتها هذه اشعر بأن هذا الحصان قد ارتدى ملابسه الخضراء بنفسه. وهو ينظر بعينيه اللامعتين من الثقبين اللذين في وجهه الاخضر! فاستطعت أن أعيش رعب الصغيرة (سعدية) أنا ايضاً لبضع لحظات. ثم عدت بعدها احاول اسكاتها مطمئناً إياها. ثم طلبت من (فاطمة) أن تأخذها إلى البيت. بينما الصغيرة تصرخ، قالت (فاطمة): أنا أريد ان ارى موكباً آخر سمير. وليس هناك احد في البيت فكلهم مع الناس يشاهدون المواكب).

فاخذتها منها مرتباً على ظهر الصغيرة المرتعبة: (لا تخافي.. لا تخافي.. انه مجرد حصان. حصان عادي). فخفت تشنجات الصغيرة.. وقد الصقت رأسها في صدري. كانت خفيفة الوزن. وشعرت بجسمها رقيقاً صغيراً. عندئذ قلت لها: (فلنذهب.. لنشاهد في مكان آخر). ولكنها بكت واخذت تصرخ: (لا. لا أريد.. لا أريد. اخاف من الحصان. عيونه زرق وينظر نحوي). كانت الصغيرة الرقيقة قد شعرت بأن الحصان الاخضر الكبير الحجم كان يريد أن يأكلها؟

مطلوب في كل مكان

منير أمير
ناجي جابر
عبد الله حسن

دخل وهو يرمي القبعة على المنضدة، فتساقطت على اثرها بعض الأواني وتحطمت. قال باستياء: (إنها تنكسر.. ومع ذلك. تحدث ضجه) وأقترب من منضدة منخفضة وارسل يده بارتباك تحمل كتابة ثم تتركه وتحمل مروحة قديمة عتيقة وتتركها ايضاً. تحرك هنا وهناك كأنه يريد أن يذهب إلى كل مكان.. وأمسك بـ (القوري) الذي تساقط عليه الغبار الاسمر. فقلبه باستغراب مفتعل ونظر في قعره.. فوجد التاج مرسوماً فيه: (لماذا اختاروا التاج بالذات! ثم قال بصوت عال كما يفعل على المسرح بعد ان ينتهي دوره ويخرج أفراد الفرقة ومخرجها: "أيها الساذجون. لماذا لا ترسمون شيئاً آخر غير التاج. والتيجان). رفع الغطاء (القوري) ودفع نظراته في جوفه: (هنا فراغ.. وثقوب ايضاً.. إنها تؤدي إلى فتحة هذا الاناء ولا شك) انه يعلم ان في داخل (القوري) هواء محصوراً وليس فراغاً.. ولكنه لم يشعر كذلك. واعاد (القوري) بعنف كاد يحطمه.. إلى موضعه تماماً: حيث الدائرة التي حفرها قعره في التراب. ثم اندفع إلى قعر غرفته الطويلة الضيقة العتيقة، وفتح دولاباً ازرق اللون ملتصقاً بالجدار: كل شيء فيه عتيق سماور لونه اصفر ذهبي.. عتيق.. مجلات مختلفة الحجم عتيقة.. تراب عفن عتيق جدران محصصة عتيقة. وصرخ برعب واضح: (توجد هنا ايضاً.. عقرب. وهي تلدغ) وارتجف كفه بعصبية واغلق باب الدولاب بصبيانية حمقاء وصرخ بامتعاض: (العقرب حيوان عتيق قديم.. بشع) وهم بالاندفاع نحو النافذة حيث علق صورة تجريدية رسمها بنفسه وسماها (الفنان العتيق). كانت ألوانها متناسقة وفيها لون أحمر محاط بأسود أثار متعته، فجعله ينجرف نحوها وتمتم: (هناك مثلث أخضر اللون. لقد نسيت أني وضعته في هذه الصورة، والمستطيل الأزرق اللون المخطط بالأسود.. هذا ثوبه مثلاً!). لكنه قدمه التوت بطابوقة بارزة في ارض الغرفة فسقط على الأرض وامتلأت يده بالألوان الزيتية اليابسة. بينما انطبعت بقايا الألوان الزيتية الندية التي على طبق الألوان في وجهه.. وامسك بقضبان النافذة لينهض ثم الصق وجهه بها، مما سبب اثارة ذعر صبي كان ماراً في الطريق فوقع بصره على هذا الوجه الملون العجيب المتوحش: قال: (إذا رآني احد افراد فرقتي فسيظنني مهرجاً!) واخذ يتمعن بالتخطيطات الموجودة على الجدران القريب من النافذة وهي مرسومة بالفحم، واخذ يحرك ملامح وجهه بعصبية وانزعاج فان الالوان على وشك ان تدخل عينيه اليمنى. ثم غار في اقرب كرسي وصفع بقة استقرت على كفه وزمجر: هذا بسبب النزيز.. تلك المياه العفنة الخضراء التي غطت قاع سرداب دارنا.. ولكن لماذا يصر البق على الطنين في اذني. لماذا؟ لماذا ايضاً تصر الفرقة التمثيلية على حضوري اليوم بالذات. ومحمد. ماذا يريد مني فينتظرني في حدائق السعدون وهو ولا شك يتوقع حضوري في هذه اللحظة.. لماذا كل هذه الاشياء دفعة واحدة ليوم واحد: سمع طرقات النافذة: هل ابراهيم موجود هنا. فصرخ به: (نعم.. موجود في ازعج الحالات). ثم ارتبك وفكر: (لكني لم أكن على موعد مع هذا).. وسمع من القعر السحيق للدار صوت والدته المبحوح (إبراهيم.. إبراهيم.. يطلبونك في التليفون) ثم صوتها ثانية: (إبراهيم.. إبراهيم. يريدونك عند الباب.) وصرخ هو بنفسه: (إبراهيم.. إبراهيم.. يريدونك في حدائق السعدون) ثم أخذ يتحرك في الغرفة وهو يصرخ (صحيح. انا مطلوب في كل مكان.. كلهم يريدوني ولكنني لا أريدهم كلهم.. الآن!) لطم الحائط براحة كفه اليمنى. نقر الطبل الخزفي الطويل الرقبة المعلق بمسمار صدئ يمسح وجهه بسرعة.. بمنديل جديد كان قد اخرجه من جيبه قبل لحظة.

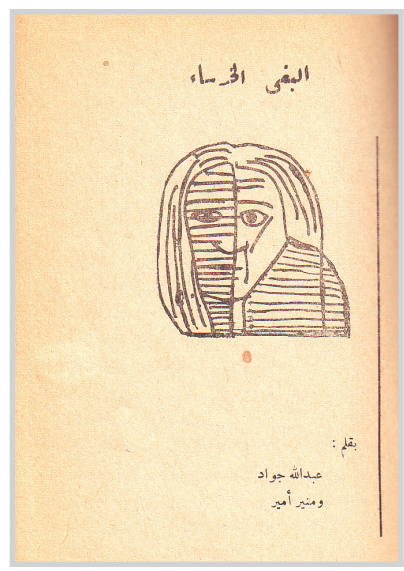

لص صغير.. ومطر

عبد الله جواد
ومنير أمير

في يوم شتاء والمطر يهطل والبرد شديد، انزوى اهلي في غرفتهم الوحيدة التي تحويها الدار وكانت المنقلة مليئة بالفحم الملتهب. وبقي باب الدار مفتوحاً فقد كان الوقت نهاراً وليس هناك ما يدعوهم إلى غلقه. اما انا فقد كنت واقفاً بجانب باب الغرفة استمع إلى أحاديثهم، وفجأة..! شاهدت ولداً صغيراً يمشي على رؤوس أصابع قدميه بصورة مريبة فصرخت للتو: (هذا لص) فخرج الولد هارباً وركضت خلفه.. وواصلت الصراخ بحدة: (لص.. امسكوا باللص) ولم يكن هناك مجيب اذ لم يتعود الناس الخروج في نهار ممطر بارد جداً كذلك.. وزقاقنا - كالعادة - كان مليئاً بالاطيان والمياه القذرة وكدت أزلق - عدة مرات - ساقطاً فيها. كنت لا أزال راكضاً خلف اللص الصغير وعلى وشك أن أمسك به حينما أحسست بان ثلاثة رجال يتبعوننا.. كانوا يركضون بوحشية وقد رفعوا أذيال ملابسهم وبدت سيقانهم السمراء المتعرقة ملوثة بالاوحال وعلى رؤوسهم أكياس يتقون بها المطر المنهمر. لم أفهم سبب ركضهم على ذلك الشكل ولاحظت اللص الصغير يقف وقد انهكه التعب فأمسكت به صارخاً: (لماذا دخلت بيتنا أيها الكلب). وفي تلك اللحظات التفت الرجال الحفاة الغلاظ حولنا وبدت القسوة في عيني أحدهم حينما قال لي بخشونة ارعبتني ونبهتني إلى انهم هم الذين ارسلوه ليسرق: (اتركه.. دعه يذهب) فاجبت بارتباك: ولكنكم تشجعونه على الاستمرار في عمله المشين هذا عوضاً من أن ترسلوه إلى حيث يتعلم ويتأدب. قال الثاني ببرود فيه تهديد خفي: (لقد قال لك دعه). ونبر الآخر وكأنه ينصحني للمرة الأخيرة: (الأفضل لك ان تترك الصغير وشأنه) ثم استمر يرسل إلي نظرات حمراء متوحشة متوعدة. ربما كان سيضربني لو لم يتدخل رجل كان ماراً بالمصادفة ويبدأ نصيحته لي بالعفو والعطف على الصغير ما دام لم يسرق شيئاً. وشعرت بأنه أخذ يساندهم خوفاً وجبناً وتخلصاً من الوقوف تحت المطر وفي البرد القارص.. ثم تركنا وانصرف.. وشعرت بغيظ شديد فصرخت بهم في وجوههم: (انكم لصوص) وهم ذو النظرات المتوعدة بصفعي بقوة لو لم يمنعه رفيقه ثم يمسك بي ويقول لي ببرود فيه تهكم: (حسناً.. نحن لصوص) ورفع ياقة سترته في لحظة احساسه بلسعة برد شديدة. فقد جاءت من الشارع رياح باردة حارة واندفعت تهب في كل مكان من الزقاق جعلتني ارتجف أنا ايضاً رغم ملابسي الشتوية السميكة؛ وحرجتة في موقفي ولم أدر ماذا اقول. ووجدته يكمل كلامه وهو يمسك بكتفي: (لكن ما رأيك في سترتي الصيفية هذه التي ارتديها في هذا البرد.. أليست جميلة حسنة (كشخة)!) وأغتصب ضحكة مريرة ثم قال: (يا ترى هل استطعت ان تفهم إنها السترة الوحيدة التي أملكها؟!) ثم سمعت احد الآخرين يقول له: (أليس من الأفضل لك ان تأخذ هذه السترة الشتوية السميكة وتدفئ بها نفسك) ورأيته يشير إلى سترتي بوقاحة. فرد عليه ببرود فيه ضجر: (لا.. دعنا نجد مكاناً آخر فصاحبها بخيل جداً!) ودفع اللص الصغير تحت معطف - ذي النظرات الحادة - وكان معطفاً أسود مرقعاً في بعض المناطق.. ثم غادروني بكل هدوء واستهزاء وكأني لم أكن هناك واقفاً أمامهم بعد.. كان المطر قد ازداد غزارة والرياح تهب باردة محيرة وكأنها تأتي من جهات مختلفة جعلت قطرات المطر تصفع وجهي وتغسله بعنف، حينئذ انتبهت إلى أني كنت لا أزال أتبعهم بنظراتي وهم يبتعدون.. فعدت أدراجي إلى البيت منزعجاً مبللاً.. أرتجف من البرد.

عود ثقاب واحد

ناجي جابر
عبد الله جواد
منير أمير

لم يكن هناك أمامه سوى الطريق الطويل الخالي. والشمس. ورغبته الشديدة في التدخين. فمه جاف ورأسه يدور.. متعب يتقدم ابنه الصغير الذي يحمل (جزة خروف).. والعرق يتصبب منهما. ليس هناك احد.. ولا عود ثقاب واحد. ورغبته في التدخين اصبحت حاجة ملحة، وعليه ان يقطع مسافات طويلة موحشة حتى يصل إلى اقرب شارع ينتهي به إلى المدينة.

كان في شبه غثيان عندما وصل إلى الشارع، وقد اختلط التراب بلعابه فصار مذاقه مراً.. والتفت للمرة التاسعة إلى ابنه الصغير حاثه على السير. كان هذا الصغيرة يثير شفقته ويزيد من تعبه. وتلك السيارات الشيطانية اللعينة تمرق بسرعة الريح. والقصور على جهة الرصيفين مغلقة جامدة لا توحي بوجود أحياء.. وكل شيء ساكن، هادئ.. وفارغ. ولاح له من بعيد ثلاثة اشخاص على دراجات تقترب باتجاهه. لا شك ان مع أحد هؤلاء (الافندية) عود ثقاب. انتصب في وسط الشارع ينتظرهم بلهفة: (حفظكم الله يا اولادي. أمعكم عود ثقاب؟). وابرز في وجوههم سيكارة غير موقدة. - عدة ساعات وانا أبحث عن ابن حلال..) وتبادل الشبان الثلاثة النظرات. استمر احدهم على انطلاقه دون توقف فلم يكن ليدخن أو يحمل السيكاير.. بينما استدار الثاني بدراجته دورة كاملة برشاقة متناهية مقترباً من الرجل وابنه، ومن صديقه الذي كان قد أخرج علبة ثقاب من جيب ثوبه.

-(تفضل.. يا عم. خذ العلبة كلها فليس فيها سوى عود ثقاب واحد) وابتسم في وجه الرجل بينما قهقه زميله وقال: في الواقع.. كان فيها عودان ولكني استعملت احدهما عبثاً.

-(اشكركم كثيراً. ان لهذا العود قيمة كبيرة بالنسبة إلي).

ونفث في الهواء الساخن دخان سيكارته التي صارت موقدة.

-(هيا بنا يا ولدي). ابتسم في وجه ابنه.. واعاد تشكراته القلبية بامتنان متزايد، ثم واصل سيره بمتعة!

إلى حيث وليمة العشاء!

منير أمير
وعبد الله جواد

إنه في اشتياق تام إلى طعام دسم.. يأكله بشهية مفرحة كاد ان ينساها بتأثير الطعام اليومي الضئيل التافه. الذي يتناوله عادة في بيته مع اطفاله، وزوجته التي كلما طلب منها طعاماً دسماً كافياً لاشباعه تقحمه بقولها في وجهه:

(اعطني نقوداً كافية أصنع لك طعاماً دسماً كافياً.. شهياً كما تريد.. وإلا فالقناعة كنز لا يفنى)!. انه الآن في السيارة.. جالساً يحلم بتحقيق آماله العريضة هذه الليلة. فهناك وليمة يقيمها ذلك الشخص البدين الثري جداً المدعو بالحاج نافع. فقد تشاكس ابنه (عدنان) مع ولد فقير الحال ولكنه وقح قوي شديد البطش! ومن هنا بدأت مخاوف الثري البدين وقرر ان يقيم وليمة صلح وأمان لتغطية الضرر والتعويض اللبق عنه وإزالة الخطر عن ابنه المدلل. هكذا أخبره صديقه (كاظم الولي) المولع بنقل الاخبار الاكيدة إلى من تفيده وتلائمه. وقد اكد له كاظم أن هذا الثري البدين سيرحب به ضيفاً بمجرد أن يخبره - إذا اقتضت الضرورة - بأنه صديق لكاظم الولي. لم يشعر تماماً بوجود المفتش وهو يطلب منه البطاقة لفحصها وثقبها.. وما أن اعادها له حتى كان قد بدأ يفكر بانفعال تدخل فيه الواقع المرير: ما تجديه مثل تلك الآمال الحقيرة اللعينة التي تهيج فيه أوهاماً مريرة مخجلة والتي لم تنجح في جعله ينسى واقع حياته القاتم. لكنه وجد نفسه بشكل عفوي يعود من جديد إلى التشبث باوهام لذيذة طيبة الطعم ووجد احاسيسه تنحصر في قوله لنفسه: انا ذهاب إلى وليمة عشاء وسأملأ معدتي. معدتي الفارغة.. الخالية دائماً من الطعام الدسم، سأملئها الليلة بطعام كذاك. وامتلأ فمه باللعاب وظل يبلع ريقه عدة مرات. والسيارة لم تقف تماماً بعد.. هبط منها بكل نشاط ورشاقة ممكنة. واندس في اقرب زقاق يقوده إلى حيث يجد الطعام مجاناً. ومنه عبر ازقة اخرى ملتوية طويلة وكأنه لا نهاية لها. ظلام. رطوبة. مصابيح خابية. مياه ترشق من البيوت امام قدميه فيقفز وينقذ اسفل ملابسه من البلل. وكاد ان ينزلق بشدة في احدى المناطق حيث تنبعث روائح عفنة من اقذار متجمعة على شكل تل في زاوية لا تصلها إلا ظلال المصابيح. وحيث تتقاتل القطط الجائعة فيما بينها على بقايا الاطعمة التي ترميها بعض النساء.. تتقاتل بكل وحشية وعنف. وشدة رغبته في حضور الوليمة جعلته يرتاب في الطريق الذي يسلكه إليها. فسأل أحد المارة بالحاح

-اين يقع بيت الحاج نافع؟ اين يقع؟

-بيت من؟

-الحاج نافع.. ابو عدنان

-والله لا أدري.. يا عم. اسأل أحد أهل المحلة.

وكاد يسأل الافندي الشاب: اذن ماذا تفعل انت هنا ولست من اهل المحلة. ولكنه وجد سؤاله سيكون سفيهاً وليس في محله.. عدا كونه غير مهم بالنسبة لمسألة الوليمة!.. ثم وجد صبياً يخوض في الطين والماء القذر.

-صغير. انت يا صغير. هل تعرف اين يقع بيت الحاج نافع.

-نافع.. ابو عدنان؟

-أي. اذن فأنت تعرف.

-هناك.

قالها الصبي ببساطة وهو يشير بذراعه الهزيلة، وقد مدها إلى اقصى حد.

-اليس في هذا الشارع.

- كلا يا عم. لا. انت واهم.

-اين اذن؟

-في ذلك الشارع. تمش على (كسر) يدك اليسرى.

-هاه. ملعون!!

-أي والله، عمي. استدر يساراً تقدم وتقدم إلى ان.

-إلى ان..؟

-تعترضك بالوعة ليس فيها غطاء. وقع فيها طفل صغير قبل يومين

-وبعد ذلك.

-كيف ادري. عمي. أأنا دليل؟!

-سأعطيك عشرة فلوس.

-حسناً جداً.. لكن لماذا!

-لكي تقودني إلى المنزل.

-هيا يا عم. ولكني اريد شراء بعض الجبن لأهلي من العم دروش.

-لا بأس. لا بأس.. ولكن خذني إلى المنزل أولاً.

وسارا جنباً إلى جنب. وسأله الصبي:

-أأنت من اقرباء الحاج نافع؟

-لا.. لماذا؟

-اردت ان اسأل.. لا شيء. لكن اسرع يا عم اسرع.

وشعر برغبة في ان يخبر بمسألة الوليمة ولكن خجله منعه..

-وصلنا.. هذا هو البيت.

كان الصبي قد توقف وقال ذلك.

-أي بيت؟

-ذاك الذي في قعر هذا الزقاق الطويل.

-انت سبع يا ولدي.. ما اسمك.

-رزوقي.

-هاك العشرة فلوس.

واعطى الصبي عملة قد انمحت كتابتها تقريباً كانت في جيبه الأيسر منذ أيام وكم حاول صرفها لكن لم يقبلها أحد، ثم اندفع إلى قعر الزقاق الضيق بشراهة ماسحاً فمه بكفه الغليظة. وانفتح فوه بارتياع: ها!.. اين الوليمة...!!. الباب مغلق.. وقريباً منه بقايا طعام كثير صار مرتعاً للكلاب المتشردة وبعض القطط الوقحة الجريئة.. وقد انتشر صوت تكسر العظام في فم هذه الحيوانات.. وبقى حائراً مرتبكاً. ماذا يفعل الآن. اذا بقي مدة أطول.. فقد يعتبره اهل الزقاق لصاً يجب ان يخرج. وقع نظره على شحاذ في جانب منزو من قعر الزقاق. كان جالساً القرفصاء يبتلع ما في انائه من طعام بكلتا يديه.. وشاربه ملطخ بالدسم. اقترب منه:

-(عمي. أليس ذاك بيت الحاج نافع) وكان قد اشار بيده إلى باب البيت المقصود.

-والله لا اعرف بالضبط.. ولكن.. قبل مدة كانت هناك وليمة.

قال بانزعاج وحسرة: (اذن فقد انتهت). وعاد يخترق الازقة المظلمة ساحباً قدميه بخيبة ولوعة إلى موقف السيارات، ووضع يده في جيبه وذكرته قطعة النقود التي صدمت يده بالعملة التالفة التي اعطاها للصغير رزوقي. ووجد نفسه يضحك بسفاهة: (لقد خدعته.. ولكن انا خدعت كذلك.. الوليمة! اين هي. احقاً كانت هناك وليمة في بيت الحاج نافع. لا استطيع الاعتراف بوجودها ومعدتي خاوية كما كانت.. فارغة دائماً).

-عمي... عمي.. قف قليلاً. عمي.

وسمع صوت الصبي (رزوقي) فعرف ان الخدعة قد انكشفت لذا انطلق يفكر بسرعة ليجد تعليلاً يقنع به هذا الصغير الغاضب. واقترب رزوقي منه: عمي. هذه نقود زائفة.. تالفة انا لم أرها اول الأمر.. لكن العم دروش لا يصرفها.. ولا يقبل احد غير ذلك ايضاً..

-ثم ماذا!

-اني اريد العشرة فلوس التي وعدتني بها.

-لقد اعطيتك اياها. وانا لا املك سوى عشرة فلوس سأدفعها عند ركوبي السيارة.

-انت محتال.. كاذب.

-لا يا رزوقي.. والله.. انا مفلس تقريباً.. واخذ يخرج له بطانات جيوبه ولم يكن فيها سوى قطعة واحدة من ذات العشرة فلوس. وسأله رزوقي وهو ينظر إلى العشرة فلوس: اين بيتكم؟

-بعيداً جداً عن هنا.

-ألا تستطيع ان تصله مشياً على الاقدام.

-بلى استطيع لو لم اكن جائعاً.. كنت أمني نفسي باني سأذوق طعام وليمة الحاج نافع.. لكنه ملأ بطون غيري من الناس.

-اتعني انه.. ليس عندك حظ؟

-ولا انت يا رزوقي.. مع الأسف.
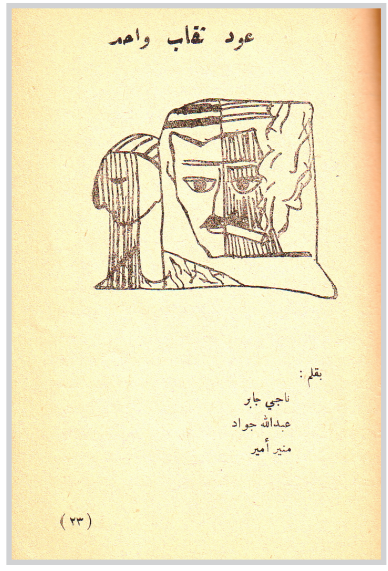
وغادره الصبي خائباً. اما هو فقد اسند جسمه الهزيل بعمود موقف السيارات ذي المصباح الاحمر الضوء.. في انتظار من ينقله بعشرة فلوس وكانت كفاه تتحسسان معدته التي ود لو انها.. لم تخلق ابداً.